صورة المرأة في رواية "قوارير شارع جميلة بوحيرد" لـ"ربيعة جلطي"

Woman's image in the novel of "Kawarir Chari Djamila BOUHIRED " of "Rabiaa DJELTI"

د.ط/ سركاستي موراد

قسم اللغة العربية وآدابها- جامعة مولود معمري – تيزي وزو (الجزائر).

مخبر تحليل الخطاب، جامعة مولود معمري – تيزي وزو .

mourrayen052@gmail.com

تاريخ الإيداع: 2023/04/01 تاريخ القبول: 2024/02/06 تاريخ النشر: 2024/03/15

ملخص: إنّ المتتبّع للكتابات النسويّة يلحظ محاولة عديد الرّوائيات قلب الصّورة النمطية المهيمنة، وهي صورة للمرأة المقهورة التابعة للرجل وذلك بتحويل مركزية الرجل وجعله هامشي، وتصبح بذلك المرأة هي المركز وهو الهامش من خلال عرضها لصورة المرأة المتحكمة في الرجل والخاضع لسيطرتها، والذّي يعاني من سيطرتها وتحكمها، وهذه الصورة لم تكن معروفة من قبل في الرّواية النسائية فهي نوعا ما جديدة في السرد النسائي.

ولهذا سنحاول في بحثنا هذا ترصد بعض الصور البارزة في رواية" قوارير شارع جميلة بوحيرد" للوصول إلى القضايا التي تطرقت إليها الروائية من أجل التعرف على مشاغل المرأة ومخالجها، محاولين الإجابة على الإشكالية التالية: هل استطاعت المرأة فرض وجودها من خلال الرواية؟ وما هي الآليات التي انتهجتها من أجل تحقيق ذلك؟ وكيف صورت لنا الروائية المرأة داخل روايتها؟

الكلمات المفتاحية: الكتابة النسائية؛ المرأة؛ الرّجل؛ الصّورة؛ الهيمنة.

Abstract: *The follower of feminist writings notices the attempt of many female novelists to overturn the dominant stereotype, which is the image of the oppressed woman subservient to the man, by transforming the centrality of the man and making him marginal, and thus the woman becomes the center and he is the marginal through presenting the image of the woman controlling the man and subject to her control, and who suffers from her control and control, This image was not previously known in the women's novel, so it is somewhat new in the women's narrative, and for this reason we will try in this research to monitor some prominent images in the*

novel "Djamila Bouhired Street Bottles" to reach the issues that the novelist touched upon in order to identify women's concerns and problems. Trying to answer the following problem .Was the woman able to impose her presence through the novel? What are the mechanisms adopted to achieve this? And how did the novelist depict the woman in her novel?

***key words**: Feminist writing, woman, man, image, hegemony.*

- **مقدمة:**

شكلت المرأة في تاريخ الثقافات البشرية موضوعا للجدل والاختلاف، حيث كانت ومازلت هي الطرف الأقل أهمية في ثنائية الرجل/المرأة عند بعض الثقافات سواء أكان ذلك على المستوى الثقافي أو الإنتاجي، ويعود ذلك إلى عدة عوامل كونها مستلبة وموءودة معنويا وجسديا، فكانت النظرة الدونية للمرأة أهم قضية تطرقت إليها الرواية النسوية، فجاءت معظم الروايات تصور المرأة على أنها جنس أدنى من الرجل و أن الرجل هو السلطة والمهيمن بينما ظلت المرأة مهمشة ومقموعة " فالمرأة مقيدة مكبلة بهذا العرف وبتلك التقاليد، ومازلت هذه وتلك حتى اليوم تعالج رغم تطور العصر ، وقد يكون تأخر المرأة ناجما عن جهلها والجهل يسبب الغباوة والغباوة تسبب الاستعباد والاحتقار، فالمرأة كانت وسيلة للإنجاب على الأكثر تخدم زوجها و أولادها كأبسط واجباتها في هذا العالم[1]

حاولت الروائية ربيعة جلطي قلب هذه الصورة النمطية المهيمنة في الكتابة النسوية، وهي صورة للمرأة المقهورة التابعة للرجل وذلك بتحويل مركزية الرجل وجعله هامشي، وتصبح بذلك المرأة هي المركز وهو الهامش من خلال عرضها لصورة المرأة المتحكمة في الرجل والخاضع لسيطرتها، والذي يعاني من سيطرتها وتحكمها، وهذه الصورة لم تكن معروفة من قبل في الرواية النسائية فهي نوعا ما جديدة في السرد النسائي، ولهذا سنحاول في بحثنا هذا ترصد بعض الصور البارزة في رواية" **قوارير شارع جميلة بوحيرد**" للوصول إلى القضايا التي تطرقت إليها الروائية من أجل التعرف على مشاغل المرأة ومخالجها، محاولين الإجابة على الإشكالية التالية:

هل استطاعت المرأة فرض وجودها من خلال الرواية؟ وما هي الآليات التي انتهجتها من أجل تحقيق ذلك؟ وكيف صورت لنا الرّوائية المرأة داخل روايتها؟

1-الكتابة النسائية: يعتبر الأدب النسوي ثورة مزعزعة للقوالب الثابتة التي وضعها المجتمع والتاريخ للمرأة حتى تتموقع داخلها، حيث جاء هذا التيار الأدبي ليعبر عن الآراء النسوية في اللغة والفكر وإنشاء خطابا مختلفا عن الخطاب الذي تبناه الرجل.

وبما أن المرأة جزء لا يتجزأ من المجتمع، وأن ديننا الحنيف أعطى للمرأة حرية إبداء الرأي حول كثير من الأمور، ولم يدع إلى فصل النساء عن الرجال اجتماعيا، وإنما دعا إلى إشراكهن في الحياة العامة مع مراعاة المبادئ التي تخص الحياة الاجتماعية والإسلامية، ظهر العديد من الروائيات الجزائريات اللاتي اتخذن من المرأة تيمة أساسية في أعمالهن الروائية،فأخذنا على عاتقهن مهمة الكتابة والتعبير عن قضاياها ومسائلها الشائكة، فبرز صوتهن في مختلف الميادين السياسية والثقافية والاجتماعية والأدبية، فأصبحن يكتبن بكل حرية.

وقد انتشر هذا النوع الأدبي في شتى أنحاء العالم وتأثرت به جميع النساء الكاتبات ومن بينهن المرأة الجزائرية المبدعة، التي تميزت عن غيرها من النساء المبدعات بأنها مناضلة ومكافحة على مدار الزمان، فالكتابة عندها سلاح ضد المستعمر وضد العادات والتقاليد، تمثل عندها فعل التحرر وتسمح لها التنقل في مساحة أكبر وفي نطاق يسمح لها بالتفريغ عما بداخلها فهي تكتب لتحرر الوطن ولتحرر نفسها، وتكتب لتثبت وجودها وذاتها وتستعيد لغتها، ولتحطم جدار الصمت القاتل الذي يحول بينها وبين التطلع لواقع معيشي أفضل.

تتفاعل المرأة مع البيئة التي تعيش فيها مثل الرجل، وتسعى من أجل تحسين أوضاعها، فالمرأة لا تكتفي بالإيمان بالغد بل تدعم إيمانها العملي بما يتمثل فيها من إرادة، خلق واقع ايجابي، فإصرار المرأة غالبا الأم على العمل فيه تأكيد على رغبتها في المشاركة العلمية وتحملها المسؤولية، لتؤكد ذاتها ومن أجل مساعدة الرجل الذي يتكفل وحده بالمسؤولية لبقاء الأسرة في حالة قوية رغم ما تعيشه من ظروف قاهرة.

ولطالما كانت صورة المرأة صورة نمطية فهي المرأة المقهورة السلبية المتلقية الخاضعة لهيمنة الذكورية، التابعة المتلقية المقموعة، ولم تخرج عن هذه الصورة إلا في الرواية العربية الحديثة، حيث أصبحت شريكة للرجل، وامرأة إنسانة تحمل مسؤولية وهي الأم المناضلة وبشكل عام الصورة تنبع من وعي وثقافة الكاتب.[2]

2-المرأة في كتابات الرّجل:

إن المتتبع للنتاج الأدبي في مجال الرّواية والقصة يجد أنّ معظمها هي نتاجات يكتبها رجال، يتصورون من خلالها المرأة وفق خيالاتهم، ويفصلونها على أذواقهم في الموضوعات العاطفية والاجتماعية والسياسية وغيرها، فكانت نظرة الرجل الكاتب إلى المرأة في غالبها نظرة تقليدية محافظة وفق منظور قضية وضع الحجاب، والطلاق، والزواج المبكر ...وغيرها. من القضايا التي جعلت المرأة تعيش داخل القوالب التقليدية البالية،ووفق هذا ظلت المرأة تشكل

مادة خام للكتابة، أو مخيال ذهني أو رمزي يكتبه الرجل كما يحلو له، فجعل منها وسيلة لترويج أفكاره.. كان الرجل يعبر عن المرأة ويحركها كما يريد

كثيرة هي عذابات المرأة ومعاناتها لكن العنوان واحد هو ظلم، مأساة، قسوة، قيود ونبذ، وعنف، لا شيء تغير في النظرة للمرأة منذ القدم سوى تنوع وسائل القمع،

كما تقول "فضيلة الفاروق" أن المرأة تلاقي الرفض والنظرة الدونية إذ تعد مصدر همّ وشر وشؤم وعار على العائلة، فعلى الرغم من كل دعوات المرأة إلى وقف التمييز بين الرجل والمرأة ودعواتها إلى إحلال المساواة بينها وبينه إلا أنها مازلت تتعرض إلى الظلم والاضطهاد، فمازلت المرأة تعاني في وقتنا الحالي من النظرة الدونية لها، ففي مجتمعنا مازلت المرأة تبحث عن هويتها المسلبة أمام الرجل الذي يحتقرها ولا يعترف بها ككائن شرعي له كيانه وشخصيته فهم ينظرون إلى المرأة على أنها مصدر شؤم وأنها لا تجلب البركة وأنها ، ناقصة عقل فعلى الرغم من القوانين والدعوات التي أنصفت المرأة وضمنت لها حقوقها، يبقى الرجل يعاملها باحتقار.

هكذا اضطلعت المرأة بدور البطلة المحبوبة والمهمشة، والخاضعة لتقاليد المجتمع في روايات الرجل الكاتب، وذلك تبعا لخلفيته وثقافته، في حين حملت شعار التحرر من القيود جميعها، ومواجهة السلطة الذكورية في إبداع المرأة الكاتبة التي خاضت غمار هذه التجربة على الرغم من كل الانتقادات التي وجهت إليها بغية كشف القضايا المحرمة في مجتمع يخشى منا قشتها بحجة أنها مواضيع لا يجوز الحديث فيها، لكن هذه الحرية والمواساة اصطدمت بأرضية الواقع المر لتستقبلها القيم والأعراف وتوقفها باسم السلطة الذكورية ليصبح "الرجل هو المجتمع وأن المرأة ليست سوى فئة فيه وهي لم تحقق انجاز كونها فئة.[3]

قضايا المرأة:الحب: تتناول المرأة هذا الموضوع بأسلوب تلميحي بعيدا عن الجرأة نوعا ما، خاصة وأن الحديث عن الحب يعد فضيحة أخلاقية في المجتمع العربي بشكل عام والجزائري، على وجه الخصوص، إلّا أن المرأة الكاتبة لم تجد من تناوله في نصوصها مما يعلل المنزلة الأثيرة التي يحظى بها في حياتها خاصة وهي تدركه رديفا للحرية.[4] فالحب الذي يمثل أسمى المواطن على الإطلاق، ويعد جريمة لا تغتفر حين يكون مصرحا عنه من طرف المرأة.

ب-الجسد:

ربيعة جلطي كانت من اللواتي اتخذن من الجسد مجرد وسيلة للتعبير عن المجتمع بل لتعرية والسخرية في غالب الأحيان من الذكورة التي ترى الأنثى على أنها جسد وشهوة " فالمرأة تكتب بجسدها قبل أن تنقل جسدها على الورق، تعكس سميائية الجسد ببراعة ودقة اختيارها في تشكيل سردها الروائي بما يحمله من قلق السؤال، وهاجس الواقع والتاريخ".[5]

ج-التّمرد

فيعلم الاجتماع التمرّد، هو محاولة فرديّة لتغيير الواقع الاجتماعي، غير أنّ هذه المحاولة وسبب فرديتها،محكوم عليها بالفشل، لذلك فإنّ تغيير الواقع يحتاج إلى ثورة اجتماعية أو إلى مدى تاريخي.[6]

هكذا تفعل المرأة التي تعرّضت ولا تزال إلى أشكال مربكة ومرعبة من الضّغط والاضطهاد، ولكنّها تواصل تمرّدها الفردي ضدّ القامع وضدّ منظومة القيم والتشريعات والقوانين، حيث تتجلّى ملكية السّيّد الذّكر للأنثى منذ التقسيم التاريخي للعمل إلى يومنا هذا ، ومن هنا صارت الكتابة بحثا عن الأفق الأوسع للحريّة التي تحقّق فيها المرأة توازنها المفقود بين ذاتها الدّاخليّة والاجتماعية، فكانت الكتابة نوعا من التمرد على المجتمع الذي ينظر إليها نظرة دونية، فتمردت بذلك على كل أشكال العادات والتقاليد ورسمت لنفسها طريق التحرر نحو واقع أفضل.

4-صورة المرأة في الرواية:

تعد الكاتبة " ربيعة جلطي" من أبرز الروائيات الجزائريات اللواتي سعين إلى إعطاء المرأة حقها وتصحيح صورتها في الرواية، وذلك بإظهار أثرها في الحياة العامة والقضايا المصيرية، ومن هنا أسندت الكاتبة بطولة روايتها إلى نماذج نسوية متعددة منتشرة في أغلبها في أوساط المجتمع فقد وظفتها في صور متعددة، حاولت من خلالها أن تعكس جميع الأخلاقيات والمثل والمبادئ الاجتماعية التي تريد أن تعمقها لدى القارئ، أو أن تعكسها أو تثيرها من خلال هذه الصور، فحماستها لقضية المرأة ورغبتها القوية في إنصافها، جعلتها تضفي على بطلاتها هالة من الكمال، ومن هنا جاءت صور المرأة في روايتها " قوارير شارع "جميلة بوحيرد" متنوعة وجديدة وغريبة نوعا ما عن الصورة المعهودة للمرأة لدى الروائيين الذي سبقوها في ابرز صورة المرأة ومن بين هذه الصور الكثيرة نذكر:

أ)المرأة اليتيمة:

تمثل هذه الصورة الفتاة لينار التي تروي ضياعها وفراق أبيها، فهي المرأة اليتيمة التي نشأت بعيدا عن أبيها منذ نعومة أظافرها، فعاشت طفلة صغيرة محرومة من الأب، فالطفل أثناء ولادته أول شيء يحتاج إليه هو حنان الأب والأم وفقدان احدهما يفقده التوازن في نموه، فلينار فقدت حنان أباها الذي هجرها وهي رضيعة تركها مع أمها تصارع قساوة الحياة فتقول وهي تصف حالة الفقد هذه«لم اعرف لي أبا مثل بقية صديقاتي والفتيات اللواتي في مثل سني»[7] فلا شيء يمكنه تعويض حنان الأب وحمايته.

عاشت لينار محرومة من أبيها الذي لم يرها تحبوا وترضع، حيث تقول« لم أره يدخل ويخرج من باب شقتنا...في ركن ما من البيت»[8] فرغم العناية والتربية الحسنة من الأم، إلاّ أنّها'(لينار) ظلّت محرومة من عطف الأب وحنانه.

فالأم في نظرها لم تستطع ملا الفراغ الأبوي رغم أنها لم تقتصر معها بل سهرت على تربيتها تربية حسنة ، وعليه فان لكل من الوالدين دور خاص به اتجاه أولاده، إلا أن الأب الذي تصوره الكاتبة في هذه الرواية هو أب أناني وغير مبال بابنته، حيث انه تخلى عن مسؤوليته لأول فرصة سنحت أمامه، فاختار جسدا آخر ليغرس فيه رجولته ، وترك ابنته رضيعا دون أن تتعرف إليه، كما أنه تخلى عن زوجته دون أن يشعر بأي ذنب اتجاه ذلك.

لم تصرح لينار بحقيقة أبيها لمصطفى حبيبها، بل صورته له على أحسن تصوير فتقول«لي أبا رائعا ومحبا لكنه غائب دوما بحكم عمله خارج البلاد، فمهمته لا تسمح له بالمجيء وانه يبعث لنا مالا غزيرا»،[9] وهو هروب من الواقع إلى عالم آخر بحثا عن حنان ذلك الأب الذي لا تعرف عنه شيء من جهة، ومن جهة أخرى هو خوف من ردة فعل حبيبها مصطفى حين يعلم أنها نشأت وسط أنثوي محض، وبالتالي ربما يهجرها ويتركها.

يشكل الأب عائقا بالنسبة للينار، فأصبحت تحس بنوع من الكره اتجاه الرجال خوفا من أن يتكرر معها ما وقع لامها، فهي تخشى الخيانة والهجران فكلمة أب تؤرقها وهاجس بالنسبة لها فتقول: «راني حاب نخطبك من باباك، ترن في رأس لينار صدى الكلمة الأخيرة..باباك باباك باباك»،[10] حيث تعتبر هذه الكلمة غريبة عنها، لم تكن تشعر بحلاوتها ومعناها وهي التي ولدت على هجران هذا الأب الذي يمثل عماد الأسرة في المجتمع، فلينار عاشت الحرمان الأبوي والنفي من حضن والدها كباقي بني جنسها، والدها الذي تركها مع أمها تصارع قساوة الحياة.

ب)المرأة المطلقة المنكسرة:

يشكل الطلاق هاجسا في وجه المرأة على اختلاف مستوياتها الثقافية والاجتماعية، ومن الأسباب المؤدية إليه هو التسلط الذكوري والتمسك بالفحولة الرجولية، وتمثل هذه الفئة المنكسرة في المجتمع المرأة يمينة المطلقة والتي تلقب بالملكة ريناس، نسبة إلى الملكة أمانيريناس الملكة الشهيرة من الملكات العظيمات في مملكة نبتة السودانية، وهي زوجة الملك ترينكاس، حيث خلفته في العرش بعد مماته، وعلى يدها تم إخضاع أسوان لمملكتها حينما كانت خاضعة لحكم الرومان في ذلك الوقت(عام 24قبل الميلاد) حيث اغضب ذلك النصر ملوك الرومان فأرسلوا جيوشا جرارة لمدينة نبتة فأذاقتهم هزيمة ثقيلة أجبرتهم فيما بعد على عقد مصالحة مع الملكة ولم يعودوا لمهاجمتها مطلقا.

عاشت ريناس أو يمينة تجربة زواج فاشلة مع رجل أقنعها في البداية بالزواج والحياة الرغيدة، مما جعلها تسرح في أحلامها وتنظر إلى ذلك الرجل على انه صورة الرجل المثالي البريء «شكا من طليقته كما يفعل عادة وبامتياز وتظاهر أمامها في صورة المظلوم البريء الغرير، تظاهر أمامها في البداية بما يجب من اللطف وأخلاق التمدن والتحضر ، فما فتيء يتحدث باللغة الأجنبية عن حقوق النساء وحريتهن ومساواتهن ومواطنتهن»[11]، إذ تمكن بأسلوب احترافي من التنكر لها ليستدرجها من بوابة تدخل عبرها في أنفاق مظلمة وسيطرة مطلقة.

فالرجل الذي أوهمها بالحرية والتحضر لم يعد هو، بل انسدل القناع عن وجهه وبان على حقيقته، وبدأ يطبق على ريناس إستراتيجية مشددة لا ترضى بها أي امرأة خلقت وترعرعت في كنف الحرية، «مثل غشاء بكارتي، سقط غشاء البكارة من عذرية وجهه الحقيقي بعد التمكن مني...دارني بين عينيه وخلاص وبدا يدبر في السبايب»[12]، فاصطدمت ريناس بعد ذلك بواقع مغاير تماما لم تكن تتوقعه، بحيث أصبح زوجها متسلط عليها بقوة ويتدخل في كل صغيرة وكبيرة، إذ وصل به الحد إلى إلزامها بالحجاب بحجة أن زوجات أصدقائه كلهن فرض عليهن الحجاب وألزمن بارتدائه " لازم تستري روحك قال آمرا...لازم تلبسي الحجاب لأنه فرض، كل صحابي فرضوا ذلك على زوجاتهم"،[13]وكأن ما على المرأة سوى تطبيق الأوامر دون جدال.

تنكشف الحقائق المستورة بعد الزواج، فبالإضافة للتسلط الذي تعرضت له ريناس، مارس عليها كل أشكال العنف من ضرب وشتم وسب بطريقة عدوانية، مما سبب لها أزمة نفسية دفعتها إلى التدخين، تقول الكاتبة:«عاشت أربع سنوات من الوجع والإهمال والتسلط والعنف المرضي كاد يفقدها صوابها، فأخذت تدخن بشراهة تدميرية وتفكر في الانتحار»[14]، لكنها تراجعت على تلك الفكرة وقررت التخلص من زوجها عن طريق الطلاق بالرغم مما تحمله كلمة الطلاق من سلبية على المرأة بحجة أنها لم تستطع صون بيتها الزوجي.

تحصلت يمينة على الطلاق بشق الأنفس، لترفض بعد ذلك الزواج مجددا، وان تعيش حرة بعيدا عن سلطة الآخر « ونظرا للتجربة القاسية التي مرت بها باتت فكرة الزواج لديها فكرة رهيبة وان تجربتها المريرة تلك أبطلت لديها نهائيا التفكير بالارتباط أو الزواج مرة أخرى»،[15]فمن خلال تجربة الزواج الفاشلة التي مرت بها جعلها ترى أن الرجال سواسية هدفهم واحد وهو إذلال المرأة وإحاطتها بسياج الرجولة الكاذبة.

بالتالي تبقى يمينة تلك المرأة المنكسرة بعد الطلاق والضحية التي تجرعت كل أشكال المعاناة، وتبقى المرأة المطلقة تعامل بسلبية في مجتمع ذكوري تقليدي ينظر إليها على أنها حاملة للعار.

ج)المرأة الحالمة:

يمثل الحب الإحساس الإنساني الأكثر قوة والأكثر هشاشة في الوقت نفسه، فمن خلاله يمكن بناء أحلاما وخيالات تدفعنا إلى التمسك بها هروبا من الواقع المرير.

فكانت لينازالفتاة التي فقدت حنان أبيها، فتاة في غاية الجمال، أحبت مصطفى العالم والباحث الغريب والحاضر في آن واحد، مصطفى الشاب المحظوظ بحب لينازله «مصطفى الشاب الذي اختاره قلبي من بين الكثيرين الذين يمدون لي حبل الود من زملائي وأساتذتي في الجامعة، وفي كل مكان أحل فيه لا سلطة لأحد منا على قلبه، اختار قلبي مصطفى وأحبه بجنون...لكنني اعتقد أن أهم ما جعلني أتعلق به هو تفوقه وطموحه اللامتناهي»،[16] فمصطفى شخص طموح يسعى دائما للبحث والاكتشاف، مما دفع بلينازإلى حبه وعشقه دون أن تفكر يوما بعلاقة أخرى مع رجل آخر، فبعد رحيل مصطفى بقيت لينازمتعلقة وحالمة به، تسترجع كل ذكرياتها معه« هل نسيت ما قلت قبل أن تسافر بان حبك لي نهر جارف، ومن المستحيل أن تنقص من مياهه المسافات الطويلة»[17]، فرغم مرور الأيام والأعوام بقيت مخلصة ووفية له«ها قد مر على سفرك عامان طويلان وسبعة عشر يوما ولم أستطع أن ابرأ منك»[18]

إن حب لينازلمصطفى أعمى لها البصيرة، فلم تترك لصديقاتها أي فرصة لزرع الشك فيها على أن مصطفى ربما يخونها، فرغم المسافات بقي مصطفى يمثل لها الحياة بحد ذاته، فهو حاضر في قلبها وعقلها « نحن جسدان بعيدان يا مصطفى لكننا نتشارك معا في الروح المنسكبة فينا معا»[19]، فعاشت لينازحالمة متجاوزة أحلامها إلى ما وراء الطبيعة، فتتصور اكتشاف حبيبها لنجمة تخلد حبهما فتقول :«ستكتشف نجمة جديدة لا تشبه الألفي التي تتلألأ في السماء وستعطيها اسمي»،[20]

وفي مقابل لينازالمرأة الحالمة بغد أفضل مع حبيبها الراحل، تسرد لنا الكاتبة قصة النساء الراغبات في تأنيث المجتمع بدءا بالشوارع والأزقة، وذلك لتسمية مدينة عشقانة بأسماء الأعلام النسوية الجزائرية التي صنعت تاريخ وأمجاد الجزائر، لكنها أصبحت مهمشة بفعل فاعل، أمثال الكاهنة وفاطمة نسومر وجميلة بوحيرد وغيرها كثيرات من اللواتي ناضلنا من اجل الحرية والاستقلال، والهدف من كل ذلك هو الرغبة في إعادة الاعتبار للمرأة وتمجيد بطولاتها وإعطائها مكانة في المجتمع كفرد له حقوقه كما عليه الواجبات، يمكنه أن يتمتع بالحرية دون قيد، حيث تحاول المرأة دائما البحث عن الحرية والسعي لتحقيقها بطرق وتوجهات مختلفة، لتخرج الروائية بذلك مكنونات المرأة وتسمع صداها بغية تجسيد أحلامها في الواقع.

د)المرأة المتمردة:

تحاول المرأة دائما داخل مجتمع قمعي أن تجد لنفسها طريقا يحقق لها شيئا من وجودها الإنساني، وان تتخلص من الثقافة السائدة، وان تنقل نفسها من الهامش إلى المتن، وان تثبت كينونتها بطرق مختلفة، فوجدت أمامها التمرد كوسيلة لرفض السلطة الذكورية والعادات والتقاليد بحيث «تثور على وضعها كأنثى لا تبقى مستسلمة تابعة للرجل، فالمحبة هو أن تحل من تشاء لا من يشاء المجتمع، ترفض وتقدم البديل، لا تخضع لقواعد المجتمع ولهيمنة السلطة»[21]، فالمرأة تريد التغيير من خلال التمرد بكل أنواعه.

تمثل عيشة الشخصية المتمردة التي قضت حياتها بعيدا عن أهلها، مخالفة العادات والتقاليد، فكانت أول خطوات تمردها رفضها الزواج باعتبار أن الرجل خائن بطبعه«كل الرجال خائنين علاش متزوجتش ما نسمحش لحتى بعوضة فيهم تركب فوقي" وهذا لفقدانها الثقة في الرجل من خلال تجارب الأخريات، حيث ترى أن حريتها تكمن في بقائها عزباء، وان الزواج" قيد حديدي اخترعه المجتمع»[22]، فهو عند عيشة مكمن الضعف والاستسلام.

ونتيجة سخطها على المجتمع بكل عاداته وتقاليده البذيئة أخذت تدخن وتشرب الخمر غير مبالية بأحد «لا تتردد مثلا في التصريح بحبها لمشروب الويسكي تمدحه بمناسبة أو بغيرها، وتصفه بالدواء الناجع للاكتئاب»،[23] فاختارت عيشة حياة الترف كونها امرأة مستقلة، كثيرة السفر، حيث احتكت بأجناس مختلفة ونماذج مختلفة من النساء استمدت منها فلسفتها مما جعلها تخالف المعتقدات وتتمرد عليها.

كما نجد شخصية ليليان التي كسرت قيود الصمت وواجهت التحرش ولم تقابله بالتجاهل، وهو نوع من المقاومة والتحدي والوقوف في وجه الآخر الذي ينظر إلى المرأة نظرة دونية« كانت دهشتي لا توصف عندما شاهدتها تتجه نحو الجاني...واش تو مو كوني توا خويا؟...أراد الوقوف لكنها وضعت يديها على كتفيه فسمرته على كرسيه ثم طلبت منه أن يعتذر وإلا يعيد النطق بها لفتاة أخرى أبدا»[24] ، فمن خلال هذا المقطع يتبين أن المرأة لم تعد تلك الضعيفة التي تخشى الرجل، بل أصبحت تواجهه وجها لوجه، فمن خلال ليليان أصبحت كل نساء مدينة عشقانة يقفن دون خوف في وجه الظلم والتسلط، ويحاولنا إثبات أحقيتهن في المشاركة والمساهمة في المجتمع، ويظهر ذلك من خلال مساندتهن لأصفية الصابرة وإنقاذها من أيدي الشرطة «طلع النهار على غير عادته، أسراب من النساء يلتحفن بالحائك الأبيض التقليدي المقصب بخيوط براقة...جئن من كل جدب وصوب من بيوتهن القريبة والبعيدة منهن من قدمن من مدن أخرى..يتفقدن من مسهن الأذى، يحملن تحت إبطهن كتاب صحائف

النساء»،[25]فبعدما كانت المرأة حبيسة الجدران أصبحت سيدة وصاحبة كلمة تناضل ضد المجامع فيعلو صوتها ويكسر القفص الذي حبست فيه وتثبت ذاتها وجدارتها.

ه)المرأة الأم:

تمثل صورة الأم في الرواية الصورة أكثر حضورا، حيث مثلت هذه الصورة أصفية الصابرة، الأم القوية التي وقفت في وجه الصعاب متحدية كل العراقيل التي تواجهها من اجل حياة أفضل لابنتها لينار.

رغم تعرض صافية الصابرة للخيانة بعد أن هجرها زوجها، جعلت من ابنتها الدافع القوي(الشعاع) لتحمل أعباء الحياة، إذ تصفها الساردة بقولها «الم يكن حريا بأمي أن تتخلص من كل شيء يذكرها به وبخيانته وجبنه وبزمنه المشئوم، بما فيه أنا...لكنها الأم يا سيدي ومولاي، لم تفعل ذلك...آثرت أن تقوم بعكس ما يتخيله الآخرون، تمسكت بي لا يشتت انتباهها احد»[26]، إذ تعتبر الأمومة عند أصفية قوة خلقت في داخلها امرأة أخرى فريدة ومتميزة، تحملت كل أعباء المسؤولية، فكانت بمثابة الأب والأم في نفس الوقت، محاولة بذلك ملا الفراغ الذي خلفه الأب الراحل، فكانت سعادة لينار شغلها الشاغل وهدفها وغايتها غير آبهة بالعراقيل الكثيرة التي تقف في وجهها فتقول الساردة على لسان لينار«من أي نبع تستقي قوتها، هل هي ثقافتها الواسعة، أم سحر الأمومة ونبعها أم من ماذا؟ لابد أنها قوة الأمومة الدافعة...تفعل كل شيء لأنجح وأكون بخير».[27]

فأصفيه رغم الخيانة الزوجية التي تعرضت لها إلا أنها لم تفكر يوما بالتخلص من ابنتها باعتبارها ذكرى الخيانة، بل قاومت وجعلت من لينار زهرة عمرها تسقيها من حبها وحنانها، متحدية كل شيء من أجل توفير كل احتياجاتها اليومية من مأكل ومشرب وملبس، وحرصت على تعليمها وتثقيفها، وبث روح الإرادة فيها، وغرس روح المقاومة في داخلها من أجل مواجهة مجتمع قمعي متسلط، مازال ينظر إلى المرأة نظرة دونية، لذلك نجد أن لينار في صفحات الرواية تفتخر لهذه الأم القوية فتقول« نحتاج إلى ضمة فريدة من نوعها، إنها الارتماء في حضن الأم لمقاومة كل أشكال الخسارات وللتسلح الثقيل في معارك الحياة ذاك الصدر الأمومي»[28].

تمثل الأم أصفية الصابرة رمز الأمومة والصدر الدافئ والمنبع الذي تستمد منه لينار قوتها، والأنيس والمصاحب لوحدتها أثناء حزنها تواصل وتقول«أنها طبيبي ودوائي الناجع، هوت علي بصدرها ورسمت قبلة طويلة حارة على جبيني لاحس بأنني طفلة من جديد»[29] ، فلينار كانت تحس بالحب والأمان عند أمها والذي فقدته من طرف أبيها الذي لا تعرف عنه شيئا، وبالتالي فان الأمومة سلاح تجابه كل انكساراتها، ولتبني لنفسها عالما أنثويا متميزا لا يشاركها فيه الرجل، وجعلت من ابنتها قوة لتحقيق ذلك، وقفزة نحو حياة أخرى، لتبين للرجل أو الأب

أن الأم نموذج الرحمة والحنان وهي المربية الناصحة الصانعة للأمجاد وتفعل كل ذلك من دون مقابل.

و)المرأة المتحدية:

وهي الصورة الأكثر حضورا في متن الرّواية من خلال شخصيات مختلفة تتناوب في سرد طرائق التحدي وأساليب المقاومة والرّفض لكل أشكال العنف والاستغلال والتهميش، والمرأة المتحدية هي تلك المرأة المتسلحة بالقوة والشجاعة من أجل تجاوز كل المشاكل الأسرية والخروج من كونها امرأة مقيدة مستضعفة لتقف ندا للرجل راغبة في ذلك تأكيد حضورها كفرد اجتماعي يمكنه المساهمة في التغيير انطلاقا من إيمانها بذاتها وثقافتها الواسعة متخذة بذلك سياسة البوح والخروج عن المألوف، ومن بين هذه النساء نذكر:

1- **أصفية الصابرة:** وهي تلك المرأة التي اتخذت من معاناتها وخيباتها نبعا تستقي منه قوتها، فهي المرأة القوية الشجاعة الناصحة الدّاعية إلى الثورة ضد كل أشكال الضعف والتهميش الممارس عليها« لا يتطلب الأمر صراخا أو تنديدا أو تهديدا، ولا تنظيمات رسمية ولا أحزابا معارضة...بل لابد من العمل في هدوء وصبر وتعقل»[30] ، فأصفيه امرأة ضحت وتحدت العالم من أجل ابنتها فرغم العوائق بقيت صامدة ومتحدية « تعودت التحدي منذ تلك الواقعة التي غيرت حياتها الهانئة في كنف عائلتها الثرية»[31] ، وبالتالي أصبحت أصفية امرأة حكيمة نصوحة وامرأة متفائلة بغد أفضل، تزرع الأمل في الوجوه العابسة للنساء التي مررن بتجارب قاسية مثلها «أتخيلها باسمة وواثقة هكذا ترد أمي وتختم بجملة بالغة العمق تريح الروح، هي ذي عادتها في الكلام ليس مع زهرة فقط أو جاراتنا، بل جميع صديقاتها الحميمات اللواتي يأتين عابسات ويخرجن من شقتنا وضحكاتهن تملأ الفضاء»[32] ، فأصفيه اختارت العمل في صمت وهدوء من أجل الخروج من عالم الظلم والدمار إلى عالم آخر أكثر هدوءا وراحة، وذلك انطلاقا من مساهمتها في تأنيث كل شوارع المدينة بأسماء لنساء عظيمات ساهمت في استرجاع أمجاد الجزائر من مثل "جميلة بوحيرد" وغيرها كثيرات.

2- **لالة كاملة بنت الصفا:** وهي امرأة قوية أسست لنفسها قلعة عظيمة تجتمع فيها كل النساء العظيمات التي يسعين إلى التغيير انطلاقا من تجاربهن المؤلمة، تعرف بنت الصفا بالهيبة والاحترام، هي الآمرة والناهية في القلعة تمتاز بشجاعتها،إذ تسعى دائما إلى تغيير وضع المرأة والنظرة الدونية إليها وهي نظرة احتقار وهيمنة، وذلك بإنشاء علاقات بين النّساء من مختلف «نظرة بسيطة على ملامحهن تدلك على أنهن من أجناس مختلفة وأصول متعددة»[33] إنّ كاملة بنت الصفا امرأة صعبة الوصول إليها، تخضع كل النساء للتجريب حتى يستطعن مقابلتها، إذ أنها لا تقبل إلا اللواتي يتمتعن بالعلم والمعرفة والوعي المطلق والصادق ، من أجل

النهوض بالمرأة من الحضيض إلى واقع أفضل، تقاسم فيه الرجل حلوّه ومرّه، يكون لها رأي محترم وحضور فعال في كل مجالات الحياة.

3- **حلاجة**: وهي الشّخصية التّي تعتبر الذراع الأيمن لبنت الصفا، تقوم على تسيير شؤون القلعة « لا يخفى على أحد من أهل المكان أنها حاضرة في كل شيء له علاقة من بعيد أو قريب بقلعة لالة الكاملة بنت الصفا، وجلي في نظر الجميع أنها الحاملة الرئيسة لمفاتيح كل غرفها المائة وواحد والصالات العشر وما إلى ذلك»[34]، وهي شخصية تتميز بالجدية في العمل، تحظى بالاحترام من طرف كل نساء القلعة وهي امرأة حالمة بغد أفضل ،امرأة متحدية لكل صعاب الحياة.

تمثل قلعة لالة الكاملة مكان تجتمع فيه كل النساء الراغبات بالتحرر من قيود المجتمع من سلطة ذكورية وعادات وتقاليد، كل النساء اللواتي مررنا بتجارب قاسية واتخذنا منها سلاحا لمواجهة كل الظروف المحاطة بها وبناء ذواتهن من جديد، حيث وحدنا قواهن من أجل هدف واحد هو التغيير من وضع المرأة ورد الاعتبار لها ككيان مستقل وواعي، حيث ألفن كتابا جماعيا تحت مسمى" صحائف النساء" وقرئ وترجم إلى عدة لغات، فتمكن بذلك الخوض في ثورة فكرية لا حاجة فيها للخروج إلى الشوارع للتنديد أو اللجوء إلى العنف بتثبت على أنها ليست الكائن الضعيف بل تتميز بالقوة والذكاء الذي يفوق ذكاء الرجل.

خاتمة:

ومن خلال تتبعنا لمختلف صور النساء في الرّواية يمكن القول بأنّ الروائية نجحت في الكشف عن دواخل المرأة وأحلامها وطموحاتها من خلال رسم صور معاناتها، فرصدت صوتها الأنثوي معبرة عن تلك القضايا التي أرهقتها منذ الأزل، وما تطرقها إلى أسماء نساء ثورية إلا احتجاج على وضعهن نظرا للتهميش والتغييب الممارس عليهن، فالروائية قدمت نماذج لنساء عزمن على التحدي ومواجهة القواعد التي أثقلت كاهلهن بسلاح الكتابة ليصلنا إلى إثبات ذواتهن، وهذا لا يعني أنها تلغي الرجل أو تنتقم منه، وإنما اعتبرته شريكها الذي يضمن التوازن الوجودي.

الهوامش:

[1]- حسين شمس أبادي: أزمة المرأة في عدد من قصص نجيب محفوظ مجلة دارسات الأدب المعاصر، السنة الأربعة، عدد15، ص133

[2]- زياد حيوسي، المرأة في الرواية العربية،www.Algeria.com

[3] - نازك الأعرجي،صوت الأنثى دار الأهالي، د.ط، 10م، ص1979

[4] - بوشوشة بن جمعة، سردية التجريب وحداثة السردية في الرواية العربية الجزائرية، المغاربية للطباعة والنشر، تونس، ط1 ،2005، ص76

[5] - الأخضر بن السائح، سرد الجسد وغواية اللغة قراءة في حركية السرد الأنثوي وتجربة المعنى، عالم الكتب الحديث، أربد الأردن، ط1، 2001، ص07

[6] - نزيه ابو نضال ، تمرد أنثى في رواية المرأة العربية وبيلوغرافيا الرواية النسوية العربية (1885-2004)، دار فارس للنشر والتوزيع، ط1، 2004، ص 52.

[7] - ربيعة جلطي: قوارير شارع جميلة بوحيرد، منشورات الاختلاف، ط1، 2018، ص34

[8] - المصدر نفسه، ص 35.

[9] - المصدر نفسه، ص 36.

[10] - المصدر نفسه، ص 50.

[11] - المصدر نفسه، ص 96، 97.

[12] - المصدر نفسه، ص 98.

[13] - المصدر نفسه، ص 98.

[14] - المصدر نفسه، ص 100.

[15] - المصدر نفسه، ص 100.

[16] - المصدر نفسه، ص 35.

[17] - المصدر نفسه، ص 61.

[18] - المصدر نفسه، ص 61- 62.

[19] - المصدر نفسه، ص 125- 126.

[20] - المصدر نفسه، ص 64.

[21] - مفقودة صالح، المرأة في الرواية الجزائرية، قسم الأدب العربي، بسكرة، الجزائر، ط2، 2009، ص55

[22] - المصدر نفسه، ص 155، 156.

[23] - المصدر نفسه، ص 157.

[24] - المصدر نفسه، ص 55.

[25] - المصدر نفسه، ص 224.

[26] - المصدر نفسه، ص 109.

[27] - المصدر نفسه، ص 44.

[28] - المصدر نفسه، ص 153.

[29] - المصدر نفسه، ص 162.

[30] - المصدر نفسه، ص 39.

[31] - المصدر نفسه، ص 12.

[32] - المصدر نفسه، ص109.

[33] - المصدر نفسه، ص117.

[34] - المصدر نفسه، ص 87.

قائمة المصادر و المراجع:

1. نازك الأعرجي،صوت الأنثى دار الأهالي، د.ط، ص1979.
2. بوشوشة بن جمعة، سردية التجريب وحداثة السردية في الرواية العربية الجزائرية، المغاربية للطباعة والنشر، تونس، ط1 ،2005.
3. الأخضر بن السائح، سرد الجسد وغواية اللغة قراءة في حركية السرد الأنثوي وتجربة المعنى، عالم الكتب الحديث، أربد الأردن، ط1، 2001.
4. نزيه ابو نضال ، تمرد أنثى في رواية المرأة العربية وبيلوغرافيا الرواية النسوية العربية (1885-2004)، دار فارس للنشر والتوزيع، ط1، 2004.
5. ربيعة جلطي: قوارير شارع جميلة بوحيرد، منشورات الاختلاف، ط1، 2018.
6. مفقودة صالح، المرأة في الرواية الجزائرية، قسم الأدب العربي، بسكرة، الجزائر، ط2، 2009.

المجلات:

1. حسين شمس أبادي: أزمة المرأة في عدد من قصص نجيب محفوظ مجلة دارسات الأدب المعاصر، السنة الأربعة، عدد15.

المواقع الالكترونية:

1. زياد حيوسي، المرأة في الرواية العربية، www.Algeria.com

-